

تأثير جلال الدين الرومي المولوي في شعر الشيخ البهائي، العربي والفارسي

أ.د. دلال عباس - الجامعة اللبنانية

تمہاری

ربما سأله البعض ما هي أهمية الحديث عن الشعر العرفاني والشعراء العرفانيين في ظلّ ما تعانيه البشرية اليوم من أزمات على مختلف الصعد. السؤال نفسه متضمنُ الجواب المفترض:

صحيح أنّ ما أبدعه العقل البشريّ في ما يتعلّق بالتقديم العلميّ وتطور التقانة قد سحرّ للبشر الأرض والفضاء، وابتكر لهم الوسائل والأسباب المدهشة للراحة والترف، فأرضى عقولهم وغرايّهم، لكنه عجز عن إرواء أرواحهم التي تتوق إلى ما وراء المادة. في الوقت نفسه لم ينجح الفقهاء من أهل الظاهر أو "علماء الرسوم" في فهم الحقيقة أو إفهامها للعوام. لذلك فإنّ العودة إلى شعر التصوّف والعرفان في التراث العالمي والإسلامي، إنّما هي عودة إلى ما في هذا التراث من روحانية وقيم ومثلٍ علياً، ربّما استطاعت أن تخفّف من آلام الإنسانية، وتوفّر لها بعض السعادة.

يهدف البحث إلى الإجابة عن هذا السؤال :

ما هي نقطة الالقاء بين المولوي والبهائي بالنسبة إلى موضوع التصوف والعرفان؟⁽³⁾

الكلمات المفتاحية : البهائي ، المولوي ، التصوف والعرفان ، العشق الإلهي ، التصوف الإيجابي
والتصوف السلبي، المجاهدة .

التصوّف والعرفان بمنظار المولوي^(١) والبهائي^(٢)

قبل الإجابة عن السؤال الذي طرحته من المفيد أن نجيب عن التساؤل حول نقطة البدء للتصوّف الإسلامي بمعناه العام؛ هل تعاليمه برمّتها نشأت من الإسلام أو كما يقول علي بن عثمان الهجويري في "كشف المحجوب": إنّ جذوره تحدّر من فرضيات وأعمال زهّدية لأصحابِ الصفة، أو كما يُقال: أنّ مبادئ الاعتقاد في المسيحية كالرهبانية والمحبّة والسلام الكامل قد أثّرت في نشوء التصوّف، أو أنّه تأثّر بالآراء العرفانية في البوذية والهندوسية وبالفلسفة الأفلاطونية المُحدثة التي تنسّم بالعرفان الحادّ أو معتقدات الأديان الإيرانية القديمة - لا سيّما المانوية - فأيّاً كان منشأه الأصلي فهو مختلفٌ عن التصوّف الذي ظهر في العصر الإسلامي، ونضج متدرّجاً من بداية الإسلام، وتبدل من زهّد فرديّ، وتعبد شخصيّ إلى مدرسةٍ واسعةٍ ذات شعبٍ متعددٍ مصوّبة بآدابٍ وتقاليدٍ مختلفةٍ وأحياناً متناقضة. فنشأ في مجرى هذا التطوّر تصوّف يعتمدُ التزهدُ والعبادات المستمرة والإقبال على التوبة والتخلّي عن العلاقة المادية والرياضات الشاقة، وهذه مدرسة أويس القرني (المتوفّي سنة 37 هـ) والحسن البصري (21 - 110 هـ) وسواهما؛ كما نشأ التصوّف المتنسّم بالعشق الذي يرتكز على العشق الروحاني الحقيقي. في التصوّف المتنسّم بالعشق ومدرسة العرفان التي ينتمي إليها المولوي نجد الصفات الأخرى المنبقة من العشق الحقيقيّ ومحبّة الله المتمثلة بالزهد والورع والصبر والاستقامة والتوكّل، والرضا والتسليم للشيئة الإلهيّة والفقر والفناء في الله. لذلك فإنّ جلال الدين المولوي في "المثنوي المعنوي" يذمّ الصوفيين المزورين المتصنّعين الذين يشكّلون "الصوفية السلبية"، مقابل التصوّف الإيجابي المتنسّم بالعشق، الذي هو العرفان الإسلاميّ نفسه . تدلّ على ذلك مبادئه المستقلة في العرفان الإسلاميّ علاوةً على تمجيده في المثنوي المعنوي وكتبه الأخرى المشايخ الكبار كما في قوله:

عارفان که جام حق نوشیده اند / رازها دانسته وپوشیده اند
هر که را اسرار حق آموختند / مهر کرند ودهانش دو ختند (مثنوي معنوي، دفتر ٥، ص ٩١٨، ٩٣٦، ١٠٢١)
[العرفاء الذين تذوقوا كأس الحق / عرّفوا الأسرار وأخفوها
الذين تعلموا أسرار الحقيقة / عقلوها وخطوا شفاههم (وأقلوا أفواههم)]

فالشريعة عند مولانا نورُ يُضيءُ جادّة الطريقة، وينطوي مصباحها في مشكاة النبوة. وهو في رؤيته الكونية للعرفان يُعرضُ عن التصوّف المتنسّم بالزهد المتطرف، فهو يُخالف المتصوّفين الذين يختارون الوحدة والتخلّي عن الناس بغية الحصول على سكينة توفر لهم فرصة العبادات الاستثنائية المرهقة، ونراه

يَتَّجَهُ اتِّجَاهًا اجتماعيًّا، وَيَرْغَبُ فِي موافِقَةِ النَّاسِ وَاصْطِحَابِ الصَّالِحِينَ وَمُجَارَاهُ الْأَصْدِقَاءِ الرُّوحَانِيَّينَ، كَمَا يُخَالِفُ الرُّهْبَانِيَّةَ، وَهُوَ يُشَيرُ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى "فِيهِ مَا فِيهِ" (فَرُوزانْفَر، فِيهِ مَا فِيهِ، طِّ٢، طَهْرَان١٣٦٢ ش، ص٤٣) .

إِنَّ الشَّاعِرِينَ يُلْتَقِيَانَ فِي الْعِرْفَانِ وَالنَّصْوَفِ الْمُتَّسِمِ بِالْعُشُقِ ، وَالَّذِي يَدْلِلُ عَلَى عُشُقٍ يَنْبَعُثُ مِنْ جَمَالِ الْذَّاتِ الْأَقْدَسِ، الْعُشُقُ الَّذِي إِنْ امْتَازَ بِهِ الْإِنْسَانُ يَصْبُحُ فِي ظُلْمِهِ أَفْضَلَ الْكَائِنَاتِ، وَبِهِ يَتَطَهَّرُ مِنِ الرَّذَائِلِ الْخُلُقِيَّةِ أَوْ بِتَعْبِيرِ الْمُولُوِيِّ: مِنِ الْطَّمَعِ وَالْعَيْوَبِ وَالْعَلَلِ وَالْكَبْرِيَاءِ:

هُرَّ كَهْ رَا جَامِه از عُشُقِي چَاكَ شَد / او از حَرَصِ وَعِيْبِ كَلِي پَاكَ شَد

شَادِ باش اِي عُشُقِ سُودَائِيِ ما / اِي طَبِيبِ جَمَلِه عَلَتَهَائِيِ ما

اِي دَوَائِي نَخُوتِ وَنَامُوسِ ما / اِي تَوْ اَفَلَاطُونِ وَجَالِينُوسِ ما

جَسْمِ خَاكَ از عُشُقِ بَرِ اَفْلَاكَ شَد / كَوهِ در رَفْصِ آمَدِ وَچَالَاكَ شَد

عُشُقِ جَانِ طَورِ آمَدِ عَاشِقا / طَورِ مَسْتِ وَ«خَرْ» مُوسَى صِعِقا

بين التصوّف والفقه في حياة البهائي وآرائه.

مما لا بد منه، حين نتحدث عن البهائي فقيها (المهندس وعالم الرياضيات والفقية المجدد) ، أن نتكلّم على المُتّحدين الفلسفي والصوفي عنده، لأنهما شديدا الصلة بالاتجاه الفقهي الاجتهادي، وقد تطرق البهائي في ما كتب إلى بحث قضية الخالق ووحدانيته وصفاته والبعث والنشور، والكون والإنسان والقدر والجوهر الفرد، هذه القضايا التي عالجها الفلاسفة المسلمين قبله، فتناولها بالحجج المنطقية والأدلة العقلية والوجдانية.

ونرى مهمّا هنا أن نشير إلى العلاقة بين التصوّف والفقه في حياة الشيخ البهائي العملية وفي آرائه النظرية؛ فهو على الرغم من عشرات الكتب التي ألفها، ومن ممارسته التعليم طوال حياته، ومن نشاطه البارز والفعال، كان أميّل إلى الزهد في الدنيا والتزام الصّمت، والبعد عن التّماس العطاء من غير الله عزّ وجلّ، هذا الزّهد في الحياة الذي يظهر واضحاً جلّياً، في تشجيعه النّفوس على التخلص من ربوة المادة، كما يتضح من نفسيّه العرفاّني الذي ظهر في سوانحه، وفي شعره العرفاّني بالفارسية، وفي إكثاره من الحديث عن المتصوّفة وأخبارهم في كتابه "**الكشكول**" ، كما أنه يُكثّر، في هذا الكتاب، وفي مثنوياته الشعرية، وفي قصّته النثرية "**موش وگریه**" [القط والفار]، من التّحذير من الدنيا والإقبال عليها، كما يُكثّر من التّرغيب بالآخرة والميل إليها، وينصح الإنسان بأن لا يطلب الدنيا للتمتّع بذاتها، بل أن يطلبها لصالح يرجو إعانته أو طالح يخاف إهانته (بهاء الدين العاملی، الكشكول، ط.أعلمی، ج 1، ص 198 و 210).

لم يبتعد بهاء الدين العاملی، في تصوّفه، عن الأساس النّظري للتصوّف، بوصفه حركة نفسية أو روحية، فهو يبدأ من فكرة الوصول إلى المعرفة، من طريق "الكشف" أو "الإشراق" أو "الحدس" ، والوسيلة العملية لذلك هي "مجاهدة النفس" وكبح شهواتها. والعارف، في نظر البهائي، هو الذي يصل إلى منبع الحقيقة بالمجاهدة، من طريق تصفية الباطن للوصول إلى الحقيقة المطلقة (السر الأزلی)، و"الشيخ" هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة، البالغ إلى حد التكتم فيها لعلمه بآفات النّفوس وأمراضها وأدوانها، ومعرفته بدوائرها وقدرته على شفائها... والعلامة هم الذين اقتصر علمهم على الشريعة،

ويُسمى علماؤهم علماء الرسوم (بهاء الدين العاملي، الكشكول، ط. أعلمي، ج 3، ص 97)، ويقول: "إن علماء الرسوم والعوام لا يفهمون أسرار الحقيقة على ما ينبغي فتضرّهم أو تهلكهم (بهاء الدين العاملي، الكشكول، ط. دار الكتاب، ص ."(719)

إنّ لوم الصوفية الضالة المتصنّعين الذين يشكّلون الصوفية السلبية قد ورد من قبل في شعر لسان الغيب "حافظ الشيرازي"، وكذلك نرى المولوي في المثنوي المعنوي يُزكّي الصوفية الإيجابية المتّسمة بالعشق، وينظر إلى التصوف السلبي نظرة ساخطة، يصّحبها تندّي بالصوفية اللئيمة المرائية والمدنسة بالمنكرات في إطار قصص تربوية عذبة مباشرة أو غير مباشرة، ويسخر بنظرة سلبية مليئة بالنقد من سلوكهم وآرائهم (المثنوي المعنوي، الدفتر ٥، ص ٨٣٨، الدفتر ٢، ص ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٦)

في هذا السياق، نرى البهائي يدعو إلى التوفيق ما بين "الطريقة" والشريعة، في وقت أخذ التطرف والغلو من الفقهاء القشريين والمتصوفة في عصره خطأ تصاعدياً نامياً، وحكم كل فريق على الآخر بالابتعاد عن الجادة. ويحمل موقف البهائي من الفقهاء والمتصوفة العنوان الذي جعله في بداية مثنوي "نان وپنیر" **[الخبز والجبن]**، وهو: "فصل في ذم المنتقدين للحكمة وينكرن لطفائها وسرائرها من الغفلة والظلمة، وفي تفسير من تفقة ولم يتضوّف فقد تقيّه، ومن تصوّف ولم يتفقة فقد ترنّدق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق" (كليّيات شيخ بهائي، مقدمة مثنوي "نان وپنیر"، ص ٤٤١).

التصوّف والعرفان في شعر الشّيخ البهائي العربي

كان طبيعياً ان لا يبقى الشيخ البهائي في حدود الظاهر في تعاطيه مع الدين، وقد غرف أوّلاً من نهج الإمام علي (ع)، ومن الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين (ع)، وكانت "مناجاة المحبين" للإمام السجاد (ع) من أوائل النصوص التي كان يعلمها لطلابه، وهذا النص من أوائل النصوص العرفانية في التراث الإسلامي، وقد نهل، أيضاً، من ذلك التراث العرفانيّ الفارسي الذي امتدّ قرونًا... واستعار الرموز التي استخدمها العرفانيون، لا سيما المولوي كالخمرة والنار والبغاء والفيل وموسى ويوسف (ع)، لكننا نلاحظ أنّه وظّفها توظيفاً يخدم المعاني التي يقصدها.

لذلك نرى أن عرفان الشيخ البهائي يتجلّى في شعره الفارسي أكثر من تجلّيه في شعره العربي، وإن كنا نعثر في شعره العربي، لا سيّما الدينى منه، على لمحات عرفانية، ولقد ارتبط شعره الدينى (العربي) برؤيه النبي (ص)، أو أهل بيته (ع)، في المنام، حيث ينال عطفهم ويسقى من محبتهم خمرة صافية طهوراً:

في ذروة السعد وأوج الكمال فلم تكن إلا كحل العقال صافيةً صرفاً طهوراً حلال وقررت العين بهذا الجمال	وليلة كان بها طالعى قصر طيب الوصال من عمرها ... سُقِيت في ظلماتها خمرةً وابتھج القلب بأهل الحمى
--	--

يقولُ في "المناجاة والشوق إلى صحبة أصحاب وأرباب الكمال" (من مثنوي "شير وشکر" (الحليب والسكر)، كليات شيخ بهائي، نفيسى، ص 141):

في بحر صفاتك قد غرقوا وبغير جمالك ما عرفوا أمواج الأدمع تُغرقُهم وبغير جمالك ما طربوا نفحات وصالك تحبيبهم عنهم في العشق روایات بشرى لحزينٍ وافقهم	عشاق جمالك إحترقوا في بابِ نوالك قد وقفوا نيران الفرقة تحرقهم من غير زلالك ما شربوا صدمات جمالك تفيفهم كم قد أحياوا، كم قد ماتوا طوبى لفقيرٍ رافقهم
---	---

الصورة واضحة ومدلولها العرفاني واضح، أيضًا، فالعشاق هم أصحاب الحال وأرباب الكمال، احترقوا بمحبة الذات العالية وغرقوا في بحر صفات الله عزّ وجلّ، يقفون في بابه ويستجدون نواله، حيارى لا يعرفون أنفسهم في طريق طلب النوال، لا تزال ذكرى الوصال تورقهم، والوصل معرفةُ الحبيب، وتعُرُّفُ جماله الروحي.

الحق يقال: إن أجمل أشعاره هي قصائدُ الْخُمْرِيَّة التي قالها في العشق الإلهي على طريقة المتصوفة، وهي ملمعات بعضها عربي وبعضها فارسي، اعتمد فيها الرمز وأحياناً القصة على عادة الشعراء الإيرانيين

الذين تقدّموه باعتماد الرّمز في أشعارهم، وهو مثّلهم يقصد بالكأس والنديم والمدام والدف والمطرب والصّنجر والساقي أسراراً يُعبر عنها بالإيماء.

الخمر لديه طاهرة تزيل الأدناس، وتفعل في العظام فعل الخمرة النّواسيّة، إنّها شعلة الإيمان المقدّسة، وهي تعبر عن الفناء في الذّات العلّيّة، وما المصطلحات التي استخدمها سوى رموز من سلسلة من المعاني العرفانية.

قال في سوانح سفر الحجاز، من مثنوي "تان وحلوا" (الخبز والحلوى)، تحت عنوان: "في التّشوق إلى الإلقاء عن أدناس دار الغرور، والتّشوق إلى الارتماس في بحر الشراب الطّهور" (كليات شيخ بهاني، ص 106):

قم لإدراك زمانٍ قد مضى	يا نديمي ضاع عمرِي وانقضى
واملاً الأقداح منها يا غلام	واغسل الأدناس عّني بالمدام
إنّها مفتاح أبوابِ السّرور	أعطني كأساً من الخمر الطّهور
أطلق الأشباح من أسرِ العموم...	خلص الأرواح من قيدِ الهموم

وقال تحت عنوان: "في نغمات الجنان من حدبات الرحمن" (كليات شيخ بهاني، ص 135):

باليٰ يحيى بها العظُم الرّميم	اشفِ قلبي لِيَهَا السّاقِي الرّحيم
والثريا غربتِ والديكُ صاح	واسقني كأساً فقد لاح الصّبَاح
واعجلن عقلي لها مهراً حلال	زوج الصّهباء بالماء الرّلال
خمرةٌ يحيى بها العظُم الرّميم	هاتها من غير مهلي، يا نديم
من يذق منها عن الكونين غاب	بنَتْ كرم تجعلَ الشّيخ شاب
دُنُّها قلبي وصدرِي طورُها	خمرةٌ من نار موسى نورُها

هذه الخمرة المقدّسة تستمد نورها من نار موسى التي يمّمها يقتبس منها في جبل الطّور، فكان له هناك الوحي الإلهي، وكلّمه الله تكليماً: (نار موسى، الطّور، الوادي المقدّس)، من عرائض شعره في غالبية

قصائد الدينية، يَظْهُرُ لَنَا أَنَّ خُمْرَ الْبَهَائِيِّ، فِي جُمِيعِ جُوَانِبِ شِعْرِهِ، إِنَّمَا هِيَ خُمْرَ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ بالْحَقِيقَةِ الْمُطْلَقَةِ، وَإِنْ اسْتُخْدِمُ التَّعَابِيرُ وَالْمَعَانِي الْمَأْلُوفَةُ فِي شِعْرِ الْخُمْرَةِ عَنْ أَمْثَالِ أَبِي نُوَاسِ:

لَا تَصْعَبْ شَرْبَهَا فَالْأَمْرُ سَهْلٌ	قَمْ وَلَا تَمَهَّلْ فَمَا فِي الْعُمَرِ مَهْلٌ
لَا تَخْفَ، فَاللَّهُ تَوَّابُ غَفُورٌ	قُلْ لَشِيْخِ قَلْبِهِ مِنْهَا نَفُورٌ:

إِنَّهُ يَعْدُ إِلَى الرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ لِيَعْبُرُ عَنْ فِيْضِهِ الْبَاطِنِيِّ، وَيَبْدُعُ لِنَفْسِهِ مَصْطَلَحَاتِ خَاصَّةِ، لَا يَدْرِكُهَا إِلَّا الصَّوْفِيُّ، فَيَصْبُحُ الْفَقِيْهُ الْمَحَافَظُ عَارِفًا صَوْفِيًّا مَتَحَرِّرًا، رَفِيعُ التَّحْلِيقِ، يَوازِي شِعْرَهُ شِعْرَ كَبَارِ الْمَتَصوَّفِينَ، وَيُسَمُّو فِي فَضَاءِ الرُّوْحَانِيَّاتِ، وَيَنْسِي مَا فِي عَالَمِ الْمَعْقُولَاتِ، مِنْ صَخْبِ وَثَقْلٍ، ثُمَّ هُوَ يَمْزُجُ الْخُمْرَةَ بِالْغَنَاءِ، وَذَكْرَ الْمَغْنِيِّ وَالْآلاتِ الْعَزْفِ، وَذَكْرَ الْحَبِيبِ، وَمَصْرِحًا بِاِهْتِمَامِهِ بِأَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِ الْعِجْمِ مُسْتَقْنَعًا بِالْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ أَبْيَاتِ الْمَتَنْوِيِّ الْمَعْنَوِيِّ. يَبْدُأُ الْجَزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ الْمَتَنْوِيِّ الْمَعْنَوِيِّ بِأَغْنِيَةِ النَّايِ الَّتِي مَطْلُعُهَا:

بَشْنُو ازْ نِي چُونْ حَكَائِتِ مِي كَنْد / ازْ جَدَائِهَا حَكَائِتِ مِي كَنْد
 كَزْ نِيْسَتَانْ تَا مَرَا بِيرِيدَه اَنْد / ازْ نَفِيرِمْ مَرَدْ وَزَنْ نَالِيدَه اَنْد
 سِينَهُ خَوَاهِمْ شَرَحَه ازْ فَرَاق / تَا بَگُوِيمْ شَرَحْ دَرَدْ اَشْتِيَاق
 [اسْتَمْعُ إِلَى النَّايِ وَهُوَ يَحْكِي / وَيَشْكُوُ قَصَصَ الْفَرَاقِ وَالشَّجَنِ
 قَالْ: حَيْنْ جَذَوْنِي مِنْ مَنْبِتِي / تَأْوِه مِنْ عَوَيلِي الرَّجَالِ وَالنَّسَاءِ
 أَبْتَغِي صَدَرًا تَشَطَّى بِالْفَرَاق / لَأَبْتَهَ آلَمَ الْاَشْتِيَاقِ]

يُرِى بَعْضُ شَرَحِ الْمَتَنْوِيِّ أَنَّ النَّايَ اسْتِعَارَةً لِلْمَرْشِدِ الْكَامِلِ لِمَنْاسِبِهِ لَهُ فِي الصُّورَةِ، فَهُوَ يَتَّسِمُ بِصَفَرَةِ الْلَّوْنِ، وَشَرَحَ الصَّدْرِ؛ وَهَذَا الْلَّوْنُ الْخَارِجِيُّ وَالْحَالُ الدَّاخِلِيُّ، لَيْسَ إِلَّا حَالَةُ الْعَشْقِ، وَيَسْتَدِدُ مُولَانَا فِي هَذَا التَّشْبِيهِ إِلَى الْحَدِيثِ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْمَزْمَارِ لَا يَحْسُنُ صَوْتُهُ إِلَّا بِخَلَاءِ بَطْنِهِ" (الْمَتَنْوِيُّ، فَرُوزَانْفَرُ، ١٣٦٠ ش، ص ٢٢٢، وَمَتَنْوِيُّ مَعْنَوِيُّ، شَرَحُ كَرِيمِ زَمَانِيِّ، ج ١، ص ٥١)...

يَقُولُ الْبَهَائِيُّ (كَلِيَّاتُ شِيْخِ بَهَائِيِّ، تَحْقِيقُ سَعِيدِ نَفِيسِيِّ، ص ١٣٤ وَ ١٣٥):

قَمْ وَأَلْقِ النَّايَ فِيهَا بِالْتَّنَمُّ	يَا مَغْنِيِّ إِنَّ عَنِي كُلَّ غَمٍّ
---	---------------------------------------

غَنَّ لِي دُورًا، فَقَدْ دَارَ الْقَدْحُ
 وَانْكَرْنَ عَنِّي أَحَادِيثُ الْحَبِيبِ
 وَاحْذَرْنَ ذَكْرِي أَحَادِيثُ الْفَرَاقِ
 رَوْحَنَ رُوحِي بِأَشْعَارِ الْعَرَبِ
 وَافْتَحْ مِنْهَا بِنَظَمٍ مُسْتَطَابٍ
 قَدْ صَرَفْنَا الْعَمَرَ فِي قَبْلِ وَقَالِ
 ثُمَّ أَطْرَبْنِي بِأَشْعَارِ الْعَجَمِ

وَابْنَدِي مِنْهَا بِبَيْتِ الْمَتْهُوِي لِلْحَكِيمِ الْمَوْلَوِيِّ الْمَعْنَوِيِّ:
 از جَدَائِهَا حَكَائِتَ مَى كَنْدَ/
 بِشَنْوَ ازْ نَى چُونَ حَكَائِتَ مَى كَنْدَ/
 [اسْتَمِعْ إِلَى النَّايِ وَهُوَ يَحْكِيَ/
 وَيَشْكُو قَصَصَ الْفَرَاقِ وَالشَّجَنَ/
 عَلَّ قَلْبِي يَنْتَبِهِ مِنْ ذِي السَّنَةِ/
 قَمْ وَخَاطَبْنِي بِكُلِّ الْأَلْسُنَةِ/
 خَائِضُ فِي قِيلِهِ مَعْ قَالِهِ/
 إِنَّهُ فِي غَفْلَةِ عَنْ حَالِهِ

إِنَّهَا غَفْلَةُ الْإِنْسَانِ عَنِ الْحَقِّ عِنْدَمَا يَهْتَمُ بِأَمْرَيِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَدْخُلُ فِي مَا يَدْخُلُ فِي هُنَّا الْجَدَالِ
 عَقِيمٌ، وَكُلُّ مَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَيْوُدٌ وَأَغْلَلٌ تَشَدَّدُ الْإِنْسَانُ نَحْوَ الْحَضِيْضِ، وَلَا تَرْكَ لَهُ فَرْصَةُ التَّحْلِيقِ
 فِي الْفَضَاءِ الرَّحِبِ، بَلْ إِنَّ فِيهَا أَصْنَامًا يَتَعَلَّقُ بِهَا قَلْبُهُ الْمُصْعِفِيْ:

كُلُّ آنِ فَهُوَ فِي قِيدٍ جَدِيدٍ
 تَائِهٌ فِي الغَيِّ قَدْ ضَلَّ الطَّرِيقَ
 عَاكِفٌ دَهْرًا عَلَى أَصْنَامِهِ
 كَمْ أَنَادِيَ، وَهُوَ لَا يُسْعِي التَّنَادِ:
 قَائِلًا مِنْ جَهْلِهِ: هَلْ مِنْ مُزِيدَ
 قَطّْ مِنْ سَكْرِ الْهُوَى لَا يَسْتَقِيقَ
 تَنْتَرِ الْكَفَّارُ مِنْ إِسْلَامِهِ
 يَا بَهَائِيَّ اتَّخِذْ قَلْبًا سَوَاهِ

وَهُوَ يَحْثُ النَّدِيمَ عَلَى دَمَرَ تَضَيِّعِ الْعَمَرِ فِي قَيْلِ وَقَالِ وَنَزَاعِ وَجَدَالِ، وَعَلَى الإِسْرَاعِ فِي سَقِيَهِ الْمَدَامِ
 الْعَذْبُ الَّتِي تَهْدِي إِلَى خَيْرِ السَّبِيلِ، حَتَّى أَنَّهُ يَتَشَوَّقُ لَوْ سُقِيَ مِنْهَا بِالْدَنَانِ لَا بِالْكَوْسِ؛ إِنَّهَا تُرْيِلُ مَا عَلِقَ فِي
 الْذَهَنِ مِنَ الْعِلُومِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي هِي "عِلْمُ الرَّسُومِ"، فِي حِينِ أَنَّ مَا يَبْقَى لِيْسَ سَوْيَ مَا يَثْمِرُ السَّعَادَاتِ الْبَاقِيَةِ
 الْأَخْرُوِيَّةِ:

قد صرفاً العمر في قيل و قال
 و اسقني تلك المدام السلسيل
 و اخلع التعلين يا هذا النديم
 هاتها صهباء من خمر الجنان
 ضاق و قُثُ العمر عن آلاتها
 قم أزل عني بها رسم الهموم

يا نديمي قم فقد ضاق المجال
 إنها تهدي إلى خير السبيل
 إنها نارٌ أضاءت للكليم
 دع كؤوساً و اسقينها بالدنان
 هاتها من غير عصرٍ هاتها
 إن عمرى ضاع في علم الرسوم

ثم يصرّح، في الأبيات الفارسية التي تلي، أن العلم الرسمي قيلٌ وقال لا قيمة له، لا يجب أن يكون
 الفكر إلا في الحبيب... ويقول على لسان المغني العربي الذي سمعه في طريقه إلى الحجاز يترنّم
 (كليات شيخ بهائي، تحقيق سعيد نفسي، ص 120):

أيها القوم الألى في المدرسه
 فكركم إن كان في غير الحبيب
 فاغسلوا، يا قوم، عن لوح الفؤاد

كلّ ما حصلتموه وسوسه
 ما لكم في النشأة الأخرى نصيب
 كلّ علم ليس يُنجي في المعاد

ويقول في قصيدة الكردي الذي قتل أمه (الكتشوك، ط. دار الكتاب ص 149):

أيها الساقى أدر كأس المدام
 خلص الأرواح من قيد الهموم
 فالبهائى الحزين الممتحن

واعجلن في دورها عيشي مدام
 أطلق الأشباح من أسر الغموم
 من دواعي النفس في أسر المحن

ويقول، في قصيدة يجمع فيها رموزه العرفانية: **الخمرة المقدسة** (رمز المعرفة)، **جيран الحمى** (رمز لجيран دار الخلود)، **السافي** (المرشد والدليل إلى الحق)، **الدير** (مكان تعاطي الخمرة)، المدارس (المواعظ والعلم الرسمي)، الذي سماه العلم المجازي وليس هو الطريق الموصى إلى الحق (كليات شيخ بهائي، ص 106):

جاء البريدُ مبشرًا
 من بعد ما طال المدى

قد قال جيرانُ الحمى	بإله خبرني بما
كأس المدام فإنها	يا أيها الساقِي أدر
مشكاة أنوار الهدى	مفتاح أبواب النهي
شوقاً إلى أهل الحمى	قد ذاب قلبي يابني
يا شيخُ قل حتى متى؟	هذا الربيع إذا أتى
الدّير أين طريقه	قم يا غلام وقل لنا
ومن المدارس ما اهتدى	فالقلب ضيّع رشده
داو الفؤاد من المحن	قل للبهائي الممتحن
تجلو عن القلب الصدا	بمداماتِ أنوارها

[قصة الرجل الذي قتل أمّه لاستهارها بالفساد]

وردت هذه القصة في المثنوي على النحو التالي: لقد دفع الحنُق أحد الأشخاص إلى أن يقتل أمّه، فقال له أحدّهم: إنك لخبت طينتك، لم تتنذّر ما للأمومة من حقٌّ عليك! لماذا قتلت أمّك؟ خبرني، قل لي ماذا صنعت أيها اللئيم الطبع.

قال القاتل: "لقد فعلت أمراً فيه عارها، فقتلتها لأنّ في التراب ستراً لها".

قال: "كان الأفضل أن تقتل ذلك الرجل السيء"،

قال القاتل: "سيكون عليّ إذاً أن أقتل كلّ يوم رجلاً، لقد قتلتها فخلصت من دماء الخلق! لقد قطعت عنقها، وذلك خيراً من قطع عنق الخلق!"

ويعلق المولوي على هذه القصة بقوله: في هذه القصة الرمزية، "الأم الخبيثة الطبع، التي شاع فسادها في كلّ ناحية فلقتها، فإنك من أجل هذه النفس الدنيئة، تعتدي في كلّ لحظة على عزيز (مثنوي) معنوي، منشورات دوستان، الدفتر الثاني، ط٧، البيت (٧٨١)..."

هذه القصّة النثرية يأخذها البهائي ويصوّغها بالعربية قصيدة يقول فيها (الكتشول، ط. أعلمي، ٧٠):

أَمْهَذَتِ اشْتَهَارِ بِالْفَسَادِ	كَانَ فِي الْأَكْرَادِ شَخْصٌ ذُو سَدَادٍ
لَمْ تَنْفَرْ عَنْ وَصَالٍ طَالِبًا...	لَمْ تَخِيبْ مِنْ نَوَالٍ رَاغِبًا
فَاعْتَرَاهُ الْبَنُونَ فِي ذَاكَ الْعَمَلِ	جَاءَهَا بَعْضُ الْلَّيَالِي ذُو أَمْلٍ
فِي مَحَاقِّ الْمَوْتِ أَخْفَى بَدْرَهَا	شَقْ بِالسَّكِينِ فَوْرًا صَدَرَهَا
خَلَّصَ الْجِيَرَانَ مِنْ فَحْشَائِهَا	مَكَنَّ الْغَيْلَانَ مِنْ أَحْشَائِهَا
لَمْ قَتَلْتَ الْأَمْ يَا هَذَا الْغَلَامُ؟	قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ الْمَلَامِ
إِنْ قَتَلَ الْأَمْ شَيْءٌ مَأْتَى	كَانَ قَتْلُ الْأَمْ أُولَى يَا فَتَى
إِنْ قَتَلَ الْأَمْ أَدْنَى لِلصَّوَابِ	قَالَ: يَا قَوْمَ اتَرْكُوا هَذَا الْعِقَابِ
كُلُّ يَوْمٍ قَاتَلَ شَخْصًا جَدِيدًا	كَنْتُ لَوْ أَبْقَيْتُهَا فِي مَا تَرِيدُ
كَانَ شَغْلِي دَائِمًا قَتْلُ الْأَنَامِ	إِنَّهَا لَوْ لَمْ تَذْقُ طَعْمَ الْحُسَامِ

في هذه القصّة ترمز الأم إلى النفس الأمارة بالسوء، والكردي الشجاع هو الإنسان الذي يستطيع الخلاص من قوى النفس الكافر، يقول في آخر القصة بما لا يدع مجالاً للتأويل:

أَيْهَا الْمَحْرُومَ مِنْ سَرِّ الْغَيَوْبِ	أَيْهَا الْمَأْسُورَ فِي قِيدِ الذَّنَوْبِ
مِنْ قَوْيِ النَّفْسِ الْكَافُورِ الْجَانِيَةِ	أَنْتَ فِي أَسْرِ الْكَلَابِ الْعَاوِيَةِ
مَعْ دَوَاعِي النَّفْسِ فِي قِيلٍ وَقَالٍ	كُلُّ صَبَحٍ مَعْ مَسَاءِ لَا تَرَالِ
قُلْ: مَعَ الْحَيَّاتِ مَا هَذَا الْمَقَامُ؟	كُلُّ دَاعٍ حَيِّهٌ ذَاتُ انتِقامٍ
أَوْ تَرُمُّ مِنْ عَضٍّ هَاتِيكَ الْمَنَاصِ	إِنْ تَكُنْ مِنْ لَسْعِ ذِي تَبْغِيِ الْخَلَاصِ
قَتْلُ كَرْدَيٍّ لَأَمْ زَانِيَة	فَاقْتُلْ النَّفْسَ الْكَافُورَ الْجَانِيَةَ

والبهائي الإنسان يبغي الخلاص من دواعي النفس بخمرة قدسية تخلص الأرواح من قيد الهموم (الكتشول، ط. أعلمي، ج ١، ص ٢٢٧):

أيتها السّاقِي أَدْرِ كَأسَ الْمُدَام
 خلص الأرواح من قيد الهموم
 فالبهائي الحزين الممتحن

وأجعلن في دورِها عيشي مدام
 أطلق الأشباح من أسر الغموم
 من دواعي النفس في أسر المحن

ويعيش الشاعر العارف بصدق روح الحديث القدسي الذي يقول: "إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَنَهُ كَانَ كَنْزًا مُخْفِيًّا، فَأَحَبَّ أَنْ يُعْرَفَ، فَخَلَقَ الْخَلْقَ وَدَعَاهُمْ لِعِبَادَتِهِ، فَاسْتَمْتَعُوا بِنِعْمَةِ الْإِجَابَةِ وَالْمُعْرِفَةِ، ثُمَّ كَانَتِ الْمُعْصِيَةُ وَالْهَبُوطُ مِنْ دَارِ الْخَلْوَةِ إِلَى دَارِ الْفَنَاءِ، فَكَانَ الْحَنِينُ إِلَى الْحَيَاةِ الْأُولَى، وَكَانَتِ الْضَّرَّاعَةُ إِلَى اللَّهِ، وَكَانَ الْاِشْتِيَاقُ وَالْمَجَاهِدَةُ لِلْعُودَةِ إِلَى مَوْطِنِ الْحُبِّ وَالْمُعْرِفَةِ، وَاتَّخَذَتِ الْمُحاوَلَةُ صِيَغًا مُخْتَلِفَةً مِنَ الْجَهَادِ وَالْاجْتِهَادِ".

فروح الإنسان لطيفة ربانية أودعها خالقها في جسد ترابي. كانت في عالم القدس، وكانت شخصانية ترى وتسمع في عالم الصورة المتمثلة التي ظهر بها الخالق لخلقه، وناداهم معلنًاً لوهيته، وأنه ربهم الأكرم الذي يرِيهم ويعلّمهم. وذلك النداء هو النداء الأول الذي سمعته الأرواح من بارئها في ظهوره الأول لها في عالم الصورة. هذه الروح التي أنعم الله عليها بمعرفته في عالم القدس، لا تتفاكم فلقة جزعة بعد الهبوط إلى عالم الكون والفساد، لأنها في شوق دائم إلى ما رأته وسمعته من بارئها، متذكرة ما كان من نعمة اللقاء الأول، لذلك فهي لا تزال تحنّ إلى ذلك اللقاء وتلك المنازل، فالمنازل التي يبكيها الشاعر رمزًّا لدار الخلود قبل فراقها، ولذلك لا يكفّ عن الحنين إليها، وإلى عهده القديم فيها (كتاب شيخ بهائي، القصيدة الأولى من مثنوي "ان وحلوا" (الخiez والحلوى)):

أيتها اللاهي عن العهد القديم أيتها الساهي عن النهج القويم
 استمع ماذا يقول العندليب حيث يروي من أحاديث الحبيب

فالعهد القديم هو ذلك العهد الذي قطعته الأرواح على نفسها في العالم الأول قبل الهبوط، نسيت العهد الذي قطعته للحبيب (الله عزّ وجلّ)، ولكن سماع غناء العندليب، بما هو مظهر من مظاهر تجلّي الحبيب وقدرته، يعيد الروح إلى ذكرى أيامها الأولى: إذاً هذا الطائر، هو رواية قصة الحبي القديم (عالم القدس):

يا بريد الحبي أخبرني بما
 قاله في حقنا أهل الحمى
 هل رضوا عنا ومالوا للوفا
 أم على الهجر استمروا والجفا

التصوّف والعرفان في شعر البهائي الفارسي:

في القصيدة السابقة يتّبع ملّمعاً بالفارسيّة ما معناه أنه رسول الحظ المبارك، لأنّه سيخلص الروح من قيودها:

مرحباً اي بيک فرخ فال ما / مرحباً اي مايهء اقبال ما
مرحباً اي عندليب خوش نوا / فارغم كردى ز قيد ما سوا
مرحباً يا رسول فألنا المبارك / مرحباً يا باعث حظنا السعيد
مرحباً أيها العندليب الجميل الصوت / لقد خلصتني من قيد "ماسوا"

إن سماع الغناء يحرّك لدى الصوفي الاضطراب والقلق والغم، يذكره بسماع النغمة الأولى: «أَلْسُ
بِرْبَكُمْ» إشارةً إلى العهد الذي أخذه الله تعالى على بني الإنسان (الأعراف/١٧٢)، وفي ترجيع الطير وأغانيه ما
يُفْعَلُ في النفس، فقد تنتشى وتتذكرة بارءها وموطنها الأول. الطائر المُغْنِي هو رسول الأرواح، لذلك يُسمّيه
هدّه مدينة سبا، هو حامل الأخبار وهادي الحائرين، حامل الرسالة والأمانة، المخبر بصدق عن رؤاه
ورؤيته:

اي نواهای تو نار مؤصده / زد به هر بندم هزار آتشکده
مرحباً اي هدهد شهر سبا / مرحباً اي بيک جانان مرحبا
غناوک أيها العندليب نار مؤصدة / أشعلتها ألفاً لقيدي موقده
مرحباً يا هدهد مدينة سبا / مرحباً يا رسول الأرواح مرحباً

ورد في المثنوي المعنوي لجلال الدين الرومي قصّة رمزية عنوانها: "حكاية البقال والببغاء"،
استعار البهائي "الببغاء" بطلاقاً لقصيدة عرفانية ، لأنّه طائرٌ ناطق:
مرحباً اي طوطى شكر شكن / قل فقد أذهبت عن قلبي الحزن
مرحباً أيها الببغاء الجميل الكلام / تكلم فقد أذهبت عن قلب الحزن
باز گو از نجد واز ياران نجد / تا در وديوار را آری به وجد

باز گو از زمزم وخیف و میا / وارهان دل از غم و جان از عنا
باز گو از مسکن و مأوای ما / باز گو از یار بی پروای ما
أخبارنا من جدید عن نجد وأحباب نجد/ حتى یغیب الحائط والباب من الوجد
أخبارنا من جدید عن زمزم والخیف و میا / وأرح القلب من الغم والروح من العنا
أخبارنا من جدید عن مسکنا و مأوانا / أخبرنا عن الحبيب الذي لم یراع حالنا

ما زال يُسَيِّدُ هَذَا الْبَيْعَاءَ عَلَى الْمَسَامِعِ؟ أَحَادِيثُ نَجْدٍ وَأَحَبَّابُ نَجْدٍ، وَزَمْزَمُ وَالْخَيْفُ وَمِنْيٌ، مَاذَا تَعْنِي هَذِهِ الْأَمَانَاتُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَتَصُوفِ؟ أَلَيْسَ هِيَ الْأَمَانَاتُ الْمَقْدِسَةُ الَّتِي خَاطَبَ فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ؟ مَنْ هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي نَفَضَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ؟ أَلَيْسَ ذَلِكَ كَنَاءَةً عَنِ اِنْقِطَاعِ الْعَهْدِ بَيْنِ الْخَالِقِ وَالْأَرْوَاحِ؟ وَمَا هُوَ إِلَّا تَبَرِّئَةُ الْذَّاتِ مِنِ الْمُعْصِيَةِ الْأُولَىِ، الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ هُبُوطِ الْأَرْوَاحِ إِلَى الْأَرْضِ وَسُكُونُهَا فِي الْأَجْسَادِ:

از زبان آن نگار تند خو / از پی تسکین دل حرفی حرفی بگو
یاد ایامی که با ما داشتی / گاه خشم از ناز و گاهی آشتی
ای خوش آن دوران که گاهی از کرم / در ره مهر و وفا می زد قدم
قل کلمة عن لسان ذلك المعنوق الجميل/ الحاد الطبع لتسکن قلوبنا
ذكرى الأيام التي كانت لنا معه / مرة يغضب وأخرى يصلح من فرط الدلال..
ألا ما أحيلى ذلك العهد، حيث كان حيناً / ينكرم بالسیر في طريق الحبّ والوفاء (كليات شيخ بهانی، ص 119)

ويظل العاشق (الرُّوح المشتاقة إلى بارئها) في شوق دائم، وخشيةٌ من أن لا تصدق الرؤيا وتحقق، وتخوّف من فقدان الامل في الرؤية، دائم التذكر، كمن يستيقظ من حلم سعيد، وكيف يعود إلى الحلم بغير النّوم، حيث تقلّت الروح من شهوات اليقظة، وفي الحلم يرى الحبيب (كتابات شيخ بهاني، القصيدة الثانية من مثوي "تان وحلوا"):

مسدلاً على كتبه قصبات المسك / مروضاً العالم كله بمناظر منه

فقصبات المسك التي يُشتبه بها الضفائر السوداء، لأن المسك أسود اللون، إنما يرمز بها إلى الليل حين يزوره خيال الحبيب في المنام، وحين يكثر الشوق والحنين والوجد، ونظرة الحبيب المروضة للخلق والعالم إنما هي لطف الله بالعباد، لأن العالم صُنع من نظرته، ومن وجوده الأول انبثق العالم.

ولكن هل يصل الحال إلى الروية الفعلية؟

- قلت له: متى أراك يا جميل التبختر؟ / قال: نصف الليل، لكن في المنام.

وكيف يكون الوصول؟ بترك الدنيا :

يقول البهائي مستعيناً ببيتين للمولوي:

(- مولوي معنوي در مثنوي / نکته ی گفت است تا بشنوی
ترک دنیا گیر تا سلطان شوی / ور نه گر چرخی تو سرگردان شوی
زهر دارد در درون دنیا چو مار / گر چه دارد در برون نقش ونگار
زهر این مار منقش قاتل است / می گریزد زو ، هر آن کس عاقل است
زین سبب فرمود شاه اولیا / آن گزین اولیاء وانبیا
"حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَتَرْكُ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ عِبَادَةٍ" (كتیات شیخ بهائی، ص ۱۳۰)

[سمع ما قاله المولوي في المتنوي المعنوي: اترك الدنيا لتصبح سلطانًا، وإلا فستبقى دولاً دائم

الحركة.

ويستأنف البهائي الكلام بقوله : إنّ باطن الدنيا سُمّ كسمّ الحياة ، وإن كان ظاهرها نقشاً وزينة، سُمّ هذه الحياة المنقش قاتل، يهرب منه كُلّ إنسانٍ عاقل، ولهذا قال سيد الأولياء النبي المصطفى المختار: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَتَرْكُ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ عِبَادَةٍ».

ويكون الوصول أيضًا بالتقوى التي هي

إقامة التوازن بين الظاهر والباطن.

يقول: (كتیات شیخ بهائی، ص ۱۳۲ - ۱۳۳)

- يجب أن يكون الباطن والظاهر واحداً / حتى تجد طريق الحق ولو قليلاً

وبالزهد بكل ما هو أرضي، وبالقناعة:

- إن جملة سعيك أيها الإنسان، للدنيا الدنيّة / فأنت لا تعلم كيف يكون السعي للعقبى

وبالزهد بالمناصب التي تذرو الدنيا في مهب الرياح

- منصب الدنيا يا حسن الأصل / هو ما يجعل بيدر دينك عرضة للرياح

ما هو الزّهد؟

- ما هو الزّهد؟ إنه تجريد القلب من حبّ الغير / كي لا يمنعك التعلق بالدنيا من السّير.

والزّهد هو الخوف والخشية:

- ما يبعدهك من خوف الله / هو ما يبعدهك من طريق الهدى

إن خشية الله دليل على العلم / ألا فاقرأ "إنما يخشى" في القرآن

الخوف والحب معًا يؤديان إلى التوبة، وبالتالي يغسل الساعي إلى الله خططيّاه ومعاصيه، ويحصل
النّوال والعطايا:

- اغسل معاصيك بالتوبة / واحصل على النّوال والعطاء بالتوبة

إذا تخلصت بالتوبة من العذاب الأليم، ووصلت إلى النعيم المقيم، فالنّوبة هي التي تصلح الأحوال، فلا
تقفل بباب العفو، ولا تيأس من رحمة الله، حتى وإن فاقت خططيّاك العد، فإنّ عفو الله لا حدّ له:

- إن فاقت خططيّاك العد / عفو الله وكرمه يفوق العدّ

بعد التّوبة تأتي محاسبة النفس، التي لا تكون إلا بالعزلة والخلوة

- كل من جاءه توفيق الحقّ دليلاً / اختار العزلة ونجا من القيل والقال

-

ولا يكون تقويم النفس وتربيتها إلا بالفرائض التي فرضها الله على عباده المؤمنين، عبادة الله لأنه أهل للعبادة، لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره:

إذا كان يمكن أن يُقدس الله الواحد الصمد من طريق التقليد، نقول على هذا النحو إن جمعاً من العوام قد دخلوا الإسلام؛ لكن إسلامهم ظاهري، كي يخرجوا من الم Gorsiyah والوثنية (كتابات شيخ بهاني، مشوي نان وبنير، ص 80).

...أولئك الذين يعبدون الله من أجل الجنة / ليسوا عشاقاً إنهم طالبو أجر
هؤلاء الذين يعبدون الله طمعاً ورياءً / يضيّفون ذنباً إلى ميزان سينائهم (كتابات شيخ بهاني، فصل الرباعيات، ص 83).

- إن الحجر الذي نسجد عليه في صلاتنا رباءً / أخاف إن يُتّقدَ ميزان أعمالنا (المصدر نفسه، فصل الغزليات، ص 75)

ال العبادة الحقيقة هي التي يكون دورها قهر النفس وتربيتها وتقويمها، فاللهم المجنونة بالعبادة هي التي تُقهر النفس وتقوّمها:

- إن نتيجة اللهم المجنونة بالعبادة ظاهرة للعيان / فأنت تقوّم النفس وتُقهرها بها (المصدر نفسه، مشوي نان وحلوا، القصيدة الثامنة).

إن الإقبال الكلي على العبادة ظاهراً وباطناً، هو الذي يقوّم النفس ويُهذّبها، وهذا ما عنده بقوله:
- إذا كنت تطلب حياة سعيدة / فاقتل بقرة نفسك أولاً (المصدر نفسه، القصيدة نفسها).

والسعادة في معرفة الحق في المقام الأول، هذه السعادة تحولت إلى شقاء عندما حجبت الروح في
ظلمة الجسد الكثيف، ولا تزال السعادة الأولى إلا بالخلص من رقبة الجسد الذي هو مستودع مؤقت للروح،
أو هو معنقد لها:

- إلى متى ستظل يا هدهد مدينة سباً

في الغربة مقيد القدمين

اجتهد كي نفك قيود قدميك

وتطير في الفضاء الرب (المصدر نفسه، القصيدة العاشرة).

فهدده مدينة سباً يرمز هنا إلى الروح (رسول العالم العلوي إلى العالم السفلي) والغرابة والقيد هو الجسد الكثيف، وإنما السعادة في التحليق:

- إلى متى ستظل يا عندليب عالم القدس

محبًا لقصك [زخارف الدنيا] وعاشقًا لمصيحتك (كليات شيخ بهائي، فصل الغزليات، ص75)

ف عندليب عالم القدس هو الروح، والقصص هو الجسد الكثيف، والروح التي أنعم الله عليها بمعرفته في عالم القدس، لا تتفاكم قلقة جزعة بعد الهبوط إلى عالم الكون والفساد، وهي في شوق دائم إلى ما رأته وسمعته من بارئها يوم أشهد الخلق على أنفسهم قائلاً: «أَسْتُ بِرِبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلِّي، شَهَدْنَا» [الأعراف/172]

- إلى متى ستظل قانعًا بتربية بدنك، وبالتراب بديلاً من جنة عدن، تطلع إلى الملك الذي ينتظرك، وآخر من البئر يا يوسف المصري، لتصبح والي مصر الوجود، وسلطان سرير الشهود. في يوم، "أَسْتُ" قلت: نعم، والآن أنت مقيّد بسرير "لا"، إلى متى ستظل بعيداً عن المعارف العقلية، مغورًا بزخارف عالم الحس لا تذكر وطنك الأصلي، متعلقاً باللهو واللعب والمرح؟ (كليات شيخ بهائي، مشوبي شير وشکر، القصيدة الأولى)

فهو يرمز، هنا، بيوسف إلى الروح، والبئر هو الجسد الترابي الكثيف، ولن تخلص الروح من ربة الجسد، كما تخلص يوسف من البئر، وأصبح ملك مصر، إلا حين تذكر يوم المعرفة الأولى، وتسعى للعودة إليه، إلى الوطن الأصلي، الوطن الأول: إقليم النعيم:

يقول بالعربيّة:

أيها المحسور من سرّ الغيوب

أيها المأسور في قيد الذنوب

إنها في "الجيد حبل من مسد"

لا تقم في أسر لذات الجسد

قَمْ تَوْجَهْ شَطَرْ إِقْلِيمْ النَّعِيمْ

وَاذْكُرِ الْأُوْطَانَ وَالْعَهْدَ الْقَدِيمُ

(المصدر نفسه، الأبيات الثلاثة الأولى هي بالعربية في الأصل، وبقية القصيدة بالفارسية)

ويتابع بالفارسية :

گنج علم ما ظهر مع ما بطن گفت از ایمان بود حب الوطن

این وطن مصر و عراق و شام نیست این وطن شهربانی که آنرا نام نیست

از اینکه آن اوطان از دنیا تمام مدح دنیا کی کند خیر الانام

تو در این اوطان غریبی ای پسر خو به غربت کرده خاکت به سر

إنَّ كَنْزَ الْعِلْمِ مَا ظَهَرَ مِنْهُ وَمَا بَطَنَ

قال: إن حب الوطن من الإيمان

هذا الوطن ليس مصر أو العراق أو الشام

هذا الوطن مدينة لا اسم لها

إن هذه الأوطان جميعها من الدنيا

فكيف يمدح الدنيا خير الانام

أنت في هذه الأوطان غريب يا فتى

اعتنى الغربة فعيّب عليك

آن قدر در شهر تن مانده اسیر که آن وطن یکباره رفت از ضمیر

تا به کی ای هدید شهر سبا در غریبی مانده باشی بسته پا

بقيت كل هذه المدة أسير مدينة الجسد

ونسيت وطني الأصلي وطن الروح

حتى متى يا هدهد مدينة سبا

تبقى في الغربة مقيد القدمين؟

وكيف تفك الروح الأغلال التي تشدّها إلى الأرض؟

بالمجاهدة: مجاهدات المحبة، حيث تنفلت الروح من متطلبات الجسد، وبهذا يصبح الصوفي على باب الطريق إلى العودة، متذكراً سعادات المعرفة الأولى، حين يتوصّل إلى السرّ الأزلي، ويقترب من العلم الحقيقى (معرفة الحق) أو العشق الإلهي، وهو الغاية التي يجاهد من أجلها المحبّون المغرمون بكمال الجمال، ويقطّعون في مجاهداتهم مراحل الطريق مرحلة مرحلة حتى يبلغوا النهاية.

ما هو العلم الحقيقى في نظره:

- العلم الرسمي كله قيل وقال، لا يحصل منه جذبة أو حال

العلم الحقيقى هو علم العشق وما عداه تلبيس إبليس الشقى

ماذا يبغى العاشق من علم الرسوم وإلام يسعى في طلبه؟

العلم الحقيقى الذي يجب أن تطلبه هو نورُ القلب والصدر طوره

اطلب علمًا ليس كتابيًّا، علمًا حالياً وليس مقالياً

إنه علم يجدد لك الروح، إنه علم العشق فاسمع مني

علم معه مفاتيح خزائن الوجود، وهو الساري في ذرات الوجود

العلم الرسمي هو خسران كله، فتعلق بالعشق الذي هو العلم الحقيقى

علم العشق خال من كيف ولماذا، ينبعه العلّى العالى

أيها الساقى اسقني قدحاً من شراب "الست"

الذى لا يُتعب رجلاً ولا يُشلُّ يداً (كليات شيخ بهاني، القصيدة الخامسة من مثنوي شير وشker).

وبعد أن تشعر الروح بالظلم، وهي مقيدة في ظلمة الجسد، تتجه بكليتها إلى النور العلوي، فتضيع قدماً في عالم آخر مختلف، أفضل وأجمل وأعلى، هو مدينة الروح، والعالم الجديد، مختلف عن عالم الجسد، فتصبح خالصةً مصافةً من تراب طهور، لا تخاف ناراً ولا برداً، كل جهة في ذلك العالم الجديد تبدو متعة للنازرين، تقىض عليها الأنوار القدسية، فلا ترى إلا حُسْنَا في حُسْنٍ وجمالاً في جمال (كليات شيخ بهاني، القصيدة الأولى من مثنوي نان وبنير).

وهو يرمز إلى المعرفة بالخمرة المقدسة التي تهدي إلى خير السبيل، فليشربها بكثرة لضيق الوقت، لأنّ ما باقي من العمر لا يكفي للتکفير عما مضى منه، ولشربها من دون عصر (أي من دون تمحيص) لأن ما باقي من العمر لم يعد كافياً للقليل والقال، هذه الخمرة المقدسة هي التي تزيل التوتر والقلق والهموم، وتريح النفس والفكر من العلوم المجازية.

ثم يقول بالعربية:

قد صرفت العمر في قيل وقال يا نديمي قم فقد ضاق المجال

واسقني تلك المدام السلسيل

واخلع النعلين يا هذا النديم إنها نار أضاءت للكليم

هاتها صهباء من خمر الجنان دع كؤوساً واسقينها بالدّنان

ضاق وقت العمر عن آلاتها هاتها من غير عصرٍ هاتها

قم أزل عني بها رسم الهموم إن عمرى ضاع في علم الرسوم

فل لشيخ قلبه منها نفور: لا تخف فالله تؤْاب غفور¹...

ثم يتتساع: إن قيل لك أنه لم يبق من عمرك سوى سبعة أيام، وهذا أمر يقين، أنت في هذه الأيام السبعة ماذا تختار؟ الفلسفة أو النحو أو الطب أو النجوم أو الهندسة أو الرمل أو الأعداد المشؤومة؟

¹ كليات شيخ بهاني، مثنوي نان وحلوا، القصيدة السادسة

العلم الحقيقي ليس سوى علم العشق، وما بقي من العلوم المجازية ليس سوى تلبيس إيليس الشقي،
وكذلك علم الفقه وعلم تفسير الحديث.

هذه العلوم، لا تؤدي إلى كشف السر حتى وإن كان تلاميذك مئة من أمثال "الفخر الرازي"، فإنك إن لم تتعلم "العشق الإلهي" فلن ينكشف لك السر ويزول الحجاب (المصدر نفسه، القصيدة الثالثة)...

الخمرة والغناء والحبّيب هي رموز العرفان الثلاثة التي سطعت في أشعاره، ولقد خلع البهائي على المحبوب الإنسان جميع الصفات التي تجعل منه المعشوق كامل الأوصاف.. وهو يدعو إلى الحب، فمن لا حبيب له لا روح له، والحبُّ وحده يهذب النفوس، ويعيد إليها فطرة الجمال الأولى:

من لم يوله بحب الوجه القمرِيِّ الجميل

إِمْحِ اسمَه من لوح الإنسانية

القلبُ الخالي من حبِّ الجميلاتِ المورّداتِ الخدود

شجرة قديمة يابسة الأغصان

والقلبُ الخالي من المعشوق ليس صدراً

إنه صندوق قديم

كلّ ما في العالم دليل على المعشوق

والعاشق لا يرى فيه غير معشوقه

كل ما كان في العالم كان ليلي

نحن لا نرى فيه غيرها

يا بهائي، طريق العشق لن تقطعها إلا بالعشق... (كتابات شيخ بهائي، المنشوي نفسه، القصيدة الثالثة)

مصطلحات التصوف والعرفان في شعر البهائي

الشعراء العرفاء جميعهم يلتقطون في التعبير المتقارب عن الحنين إلى الأصل الإلهي، والشوق إلى الصفاء الذي يعيده، إلى الجنة المفقودة والنعمة المرجوة، نعمة اللقاء، والغرق في بحر السر، والتخلص من ربقة الجسد الكثيف؛ وذوق التصوف والعرفان فطريّ، وموهبة ربانية لا تأتي كغيرها من العلوم بالاكتساب والبحث والدرس والجدل... وللشعراء العرفاء مصطلحات وتعابير مجازية سطعت في أشعارهم، لا يفهمها أو يتذوقها إلا من تمرّس بقراءة هذا الشعر، وأدرك ما تعنيه هذه الرموز... هذه التعبيرات المجازية لا تختص بالشعراء الإيرانيين وحدهم، وإنما هي في شعر العرفانيين الهنود، أيضًا، والشعراء العرب من أمثال ابن الفارض ومحبي الدين ابن عربي، والسهوراوي وغيرهم.

وقد ورد في شعر البهائي مصطلحات من قبيل:

الخمرة والحبّب: وهو رمز لواجب الوجود المطلق ولمعرفته، لقد خسرنا الدين والدنيا بنظره
واحدة، ونحن مع ذلك فرحون

أجل هذا من ثمار الحب، وليس من ثمار الحب ندامة

نحن لا نريد من الحبيب سوى الحبيب

أما الحور العين والجنة فلّاك أيها الزاهد بسخاء

رأيت في حانوت الخمر زاهدًا قد احمرّ وجهه من الخمرة

قلت له: فليبارك الله إسلامك

عمر قلوبنا بكرمك قبل أن تهزم هذه القلوب..

ويقول:

أيها العقل الخجل من جهلنا وعدم معرفتنا

لقد تعجبَ الكثيرون من حيرتنا وترددنا

في حضتنا صنم وجبهتنا في السجود

لقد ضحك الكفر من إسلامنا

ويقول:

لقد أوقد شيخ المجروس نار الحديث

رأى إيماني فاحتراق قلبه عليّ

أخذ من خرقة الكفر شبه رقعة

وأتى بها فخاطها على كم إيماني

هل يدل ما ذكرناه على تناقض بين وجهي البهائي: عالم الرسوم (الفقيه المجدد)، والعارف الكاره لعلم الرسوم، أو أنّ هناك سعياً وكذا للتوفيق بين الظاهر والباطن، ومجاهدةً للارتفاع من حضيض النزاع والجدال الأرضيين إلى حضن الملوك الأعلى؟

وهل يمكن للإنسان أن يوفق بين هذين الوجهين؟

إنه يسعى ...

وقد تكون أفضل إجابة عن هذا السؤال ما نختتم به هذا المقال، وهو قول الشيخ البهائي في مقدمة مثنوي نان وپنیر:

"من تفقة ولم يتصوّف فقد تيقّفه، ومن تصوّف ولم يتفقة فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق".

الحواشي

(١) تعريف الشيخ البهائي

ولد محمد بهاء الدين العاملبي في العام 953 هـ، في قرية إيعاث الواقعة على بعد خمسة كيلومترات من مدينة بعلبك؛ حيث كان والده يدرّس وأستاذَ الشهيد الثاني (الشيخ زين الدين بن نور الدين العاملبي الذي قُتل في العام 965 هـ - 1557 م) الفقه على المذاهب الخمسة، وكان في السابعة من

عمره حين هاجر مع أبيه إلى إيران، حيث عاش عامَة عمره، لم يغادرها إلا لمدةٍ قصيرة في العام (٩٩١هـ - ١٥٨٣) إلى الحج، ومن الحجاز قصد مصر للأخذ عن شيوخها، ومنها توجه إلى القدس الشريف، ثم إلى دمشق فطلب، وعاد إلى إيران في رمضان من العام ٩٩٢هـ - ١٥٨٥م. تولى الشيخ البهائي مشيخة الإسلام في زمان الشاه عباس الكبير (حكم من سنة ٩٩٥هـ - ١٥٨٧م، حتى العام ١٠٣٨هـ - ١٦٢١م)، وقد ارتبط هذان الأسمان، إلى أن توفي الشيخ في العام ١٠٣٠هـ - ١٦٢١م، في إصفهان، ومنها نُقل إلى المشهد الرضوي المقدس بحسب وصيته، حيث دُفن قرب الحضرة المقدسة، وقبره مشهور يزوره العامة والخاصة.

كان الشيخ البهائي متعدد جوانب المعرفة، فيلسوفاً حكيمًا وفقيهاً مفسراً وعالماً رياضياً ومهندساً وأديباً شاعراً.

والبهائي أول من نظمَ الشعر الفارسي على بحر الخبر، كما أنه نظمَ كثيراً من شِعره على طريقة "الدوبيت" أو "الرباعيات"، وهكذا أسدى خدمةً إلى الثقافتين: العربية والفارسية بتطوير النظم في كلِّ منها، باعتماده، في كلِّ منها، وزناً من أوزان الأخرى..

- (التوسيع يرجى العودة إلى كتاب الباحثة "بهاء الدين العاملی، أديباً وفقيهاً وعالماً" ، فصل الكتب المنسوبة إليه).

(٢) تعريف جلال الدين محمد المولوي البلخي الرومي (٦٠٤ - ٦٧٢هـ)

الشاعر العارف والناطق المشهور، أحد العارفين والكمُل الواصليين. كان جلال الدين ابنَ خمس سنوات حين هاجر من بلخ إلى قونية بصحبة أبيه "سلطان العلماء بهاء الدين" المعروف ببهاء ولد (٥٤٣ - ٦٢٨هـ) حوالي ٦٠٩هـ أو ٦١٠هـ. حين وصل إلى نيسابور ودخل في خدمة الشيخ فريد الدين العطار (المتوفى سنة ٦١٨هـ)، أهدى العطار جلال الدين كتابه "أسرار نامه" وأوصى أباه: "بِجلِّ هَذَا الطَّفَلِ فَسُوفَ يُلْقِي ضرْمَةً فِي الْفُلُوْبِ الْمُحْرُوقَةِ فِي الْعَالَمِ بِنَفْسِهِ الْمُحْمُومِ" (معصوم على شاه، طرائق الحقائق ، طهران ١٣١٨هـ ، ج ٢ ، ص ١٤٠ ، لغت نامه ، ج ، ص ٢١٧ و ١٢٠).

(٣) العرفان بمعنى معرفة الله الحق المتعالي (لغت نامه، ١، ٤، ١٧٤، مادة "عرفان")، لكنَّ هذه المعرفة لا تُحصل إلا من طريق تصفية الباطن، وتجلية السر، وتحلية الروح، كما يعتقد به السالكون الذين يطوفون طرق الكمال.

مصادر البحث:

كتب الشيخ البهائي العربية

- 1- الحبل المتنين: منشورات مكتبة بصيرتي، قم، إيران. من دون تاريخ مع رسائل الشيخ البهائي.
- 2- زبدة الأصول: مخطوط مصور عن مكتبة آل إبراهيم (الدوير- جنوب لبنان).
- 3- الكشکول للشيخ البهائي، ط. أعلمی. ٣ أجزاء ١، الطبعة السادسة.
- 4- كلمات المحققين، منشورات مكتبة المفید، قم، إيران، ٢٠١٤ هـ - ١٩٨٢ م.
- 5- مشرق الشمسيين: مخطوط خاص (١٦٩٠ م).
- 6- الوجيزة في الدراسة، الشيخ البهائي- المطبعة الحيدرية ١٣٩٦- ١٩٧٢، قم، إيران.

كتب الشيخ البهائي الفارسية

- 1- أربعين شیخ بهائی: شرح خاتون آبادی، نسخة مصورة عن مخطوطة إسماعیل الخوانساري ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.
- 2- جامع عباسی: مؤسسة انتشارات فراهانی- تهران- مصور عن مخطوطة میرزا الشیرازی ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م.
- 3- کلیات آثار وأشعار شیخ بهائی، تقدیم سعید نفیسی، تهران، ١٣٦١ ش [١٩٨٢ م].

كتب المولوی الفارسیة

1. فيه ما فيه، جلال الدين المولوی، تحقيق فروزانفر، ط٢، طهران ١٣٦٢ ش
- مثنوى معنوی، جلال الدين المولوی، تحقيق نیکلسون، ط٣، منشورات أمیر کبیر، طهران ١٣٥٢ ش [١٩٧٣ م]
- مثنوى معنوی، شرح کریم زمانی، منشورات اطلاعات، ط١٢، طهران ١٣٨٢ ش [٢٠٠٣ م]

المراجع العربية:

- 1) ابن معصوم، سلافة العصر، المكتبة الرضوية، تهران، لابت.
- 2) الإصفهاني: رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق أحمد الحسيني، مكتبة آية الله المرعشی العامة، قم، إیران، لابت.
- 3) الأمین، محسن: أعيان الشیعه، ت. حسن الأمین، دار التعارف، بيروت، لابت.
- 4) البحراني، کشکول البحراني، تحقيق محمد صادق الكتبی، النجف 1376ھ- 1956.
- 5) الخفاجي: ریحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، طبعة عیسی البابی الحلبي، لابت.
- 6) الخوانساري: روضات الجنات، 8 أجزاء مکتبة إسماعيليان، إیران 1392ھ.
- 7) سلافة لعصر لابن معصوم، المکتبة الرضوية، تهران، لابت.
- 8) عباس، دلال: بهاء الدين العاملی، أديباً فقيهاً وعالماً، دار الحوار، بيروت، ١٩٩٥؛ المرجع نفسه ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ٢٠١٠.
- 9) عباس، دلال: التدين والنفاق بلسان القطة والفار، ترجمة وتحقيق كتاب "موش وگربه" ، دار ریاض الريس، بيروت، ١٩٩٥م.
- (10) المجلسی، محمد باقر: بحار الأنوار، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ١٤٠٣ھ- ١٩٨٣.
- (11) مطهري، مرتضى: الإسلام وإیران، ت. محمد هادي الیوسفي، دار التعارف- دار التبلیغ (١٤٠٠ھ).

المراجع الفارسية

- دهخدا، لغت نامه

- زرین کوب، عبد الحسین، ارزش میراث صوفیه، ط. ۳، ۱۳۵۳ ش [۱۹۷۴ م]

- صدیق، عیسی، تاریخ فرهنگ ایران، ط. ۲، ۱۳۳۸ ش [۱۹۵۹ م]

- غنی، قاسم، تاریخ تصوّف در اسلام، طهران ۱۳۳۰ ش [۱۹۵۱ م]، منشورات مکتبه ابن سینا.

- نفیسی، سعید، سرچشمه تصوّف در ایران [منبع التصوّف فی ایران]، منشورات مکتبه فروغی، طهران ۱۳۴۷ ش [۱۹۶۸ م].

- العاملی، بهاء الدین (الشیخ البهائی)، کلیات اشعار و آثار شیخ بهائی، تقدیم سعید نفیسی، منشورات جکامه، طهران ۱۳۶۱ ش [۱۹۸۲ م].

- العاملی، بهاء الدین (الشیخ البهائی)، کلیات اشعار و آثار فارسی شیخ بهائی، تصحیح غلام حسین جواهري، ط. ۲، منشورات مکتبه محمودی، ط. ۲، ۱۳۶۳ ش [۱۹۸۴ م].